المجلة الغمارية

المعرفة رأس الحكمة



العدد 8

ربيع الآخر 1431

مجلة دورية تصدر عن واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

عقله وحواسه صلى الله عليه وآله وسلم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد ،،،

فاعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، الباحث عن تفاصيل جميل قدره العظيم أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان: ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا، ومكتسب ديني، وهو ما يحمد فاعله، ويقرب إلى الله تعالى زلفى، فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته، وجمال صورته، وقوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزة قومه، وكرم أرضه، ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه، من غذائه ونومه، وملبسه ومسكنه، ومنكحه، وماله وجاهه، وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها، وكانت على حدود وقوانين الشريعة.

وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية، والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم، والصبر، والشكر، والمروءة، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن الأدب والمعاشرة، وأخواتها، وهي التي جمعها حسن الخلق، وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة و أصل الجبلة لبعض الناس، وبعضهم لا تكون فيه، فيكتسبها، ولكن لابد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة، وقد تكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة، ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة، وإن اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها.

فإذا كانت خصال الكمال و الجمال ما ذكرناه، ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها أو باثنتين إن اتفقت له في كل عصر، إما من نسب أو جمال، أو قوة أو علم، أو حلم أو شجاعة أو سماحة، وجدناه قد عظم قدره، وضرب باسمه الأمثال، و تقرر له بالوصف بذلك في القلوب إثرة وعظمة، فما ظننا بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد، ولا يعبر عنه مقال، إنه السيد الكامل الطاهر المطهر، سيد ولد آدم، سيد العالمين سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

تكلمنا في العدد الماضي عن بعض من جميل خصائله الشريفة ومحاسنه المنيفة، تكلمنا عن صفته الشريفة وصفة خلقه وجسمه، واليوم نتكلم عن وفور عقله الشريف وقوة حواسه الكريمة صلى الله عليه وآله وسلم.

إذا أردنا الحديث عن وفور عقله الشريف، وذكاء لبه، وقوة حواسه، وفصاحة لسانه، واعتدال حركاته، وحسن شمائله، فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسة العامة والخاصة، مع عجيب شمائله، وبديع سيره، فضلاً عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع دون تعلم سبق، و لا ممارسة تقدمت، لم يمتر في رجحان عقله الكريم وثقوب فهمه لأول بديهة، قال وهب بن منبه: قرأت في أحد وسبعين كتاباً، فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرجح الناس عقلاً، وأفضلهم رأياً، وفي رواية أخرى: فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وآله وسلم إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا.

وفي قوة حواسه الكريمة الطاهرة صلى الله عليه وآله وسلم قال مجاهد: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه»، وفي الموطأ عنه عليه وآله الصلاة والسلام: «إني لأراكم من وراء ظهري»، ونحوه عن سيدنا أنس في الصحيحين، وعن السيدة عائشة مثله قالت: "زيادة زاده الله إياها في حجته"، وفي بعض الروايات: «إني لأنظر من ورائي كما أنظر من بين يدي»، وحكى بقي بن مخلد عن السيدة عائشة

قالت: ﴿كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء﴾، إلى غير ذلك من الأخبار التي تفيد قوة بصره الكريم ونفاذ بصيرته.

أما عن جسده الطاهر صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان أشد الناس قوة وأكثرهم بأساً على الأعداء، إذ جاءت الأخبار بأنه صرع أبا ركانة أشد أهل وقته، وكان دعاه إلى الإسلام، وعاوده ثلاث مرات، كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال سيدنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مشيه، كأنما الأرض تطوى له، إذا ضحك كان ضحكه تبسماً كأنما يكشف عن مكنون اللؤلؤ، إذا التفت التفت معاً، وإذا مشى مشى تقلعاً كأنما ينحط من صبب، على أكمل ما خلق الله تعالى في الورى، صلى الله عليه وآله وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

من عظماء الإسلام

السيدة أم كلثوم

بنت سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

اسمها عليها السلام:

هي السيدة المطهرة الشريفة المكرمة أم كلثوم بنت سيد ولد آدم وخير خلق الله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبنت السيدة الطاهرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام، وقد كانت السيدة أم كلثوم عليها السلام ثالث بناته صلى الله عليه وآله وسلم، عرفت بكنيتها و لم تعرف باسمها عليها السلام.

مولدها ونشأتها عليها السلام:

ولدت السيدة عليها السلام بمكة المكرمة، قبل البعثة الشريفة، نشأت في بيت النبوة وتربت على يد أبيها الكريم وأمها الطاهرة، شهدت مع أبيها صلى الله عليه وآله وسلم بداية بعثته وما كان فيها من نقمات الأعداء ومكائد الحاقدين، عانت عليها السلام قسوة المشركين، وشهدت من أذاهم الشيء المبين، لم يثنها شدة الأذى وقسوته عن منهج الأنبياء المخلَصين، فكانت لأبيها نعم الناصر والمعين، عليها وعلى أبيها وأمها أفضل صلاة وأتم تسليم.

وصفها عليها السلام:

سيدة الكرم والحلم، مَن في النساء يقارب حسنها ورقتها، الحلم لها علامة، والكرم فيها سجية، أجود من جواد، وأكرم من سحاب، أرق من نسيم، وأحلم من حليم، تعجز الكلمات عن وصف معناها، وتخجل أمام عظيم تقواها، استقت من بحر العلم النبوي، ففاضت على ظاهرها بركات نوره، حتى بدت في الأنام سراجا منيرا يهدي الحائرين، ويزيل عن القلوب عتمتها بأنوار سروره.

مكانتها عليها السلام:

كان للسيدة أم كلثوم عليها السلام مكانة عظيمة في قلب سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم، فقد كان يحن إليها، ويرق لذكرها، يكرمها في كل موقف، ويشد أزرها في كل بلوى، زوجها بوحي من الله تعالى، واختار لها من خيرة الناس من أحسن رعايتها وأكرم مقامها.

زواجها عليها السلام:

خُطِبَت السيدة أم كلثوم عليها السلام لعتبة بن أبي لهب و لم يبنِ بها، فلما بُعِثَ سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فارقها بأمر أبيه إياه بذلك، ثم بعد موت السيدة رقية عليها السلام زوجة سيدنا عثمان رضي الله عنه عرض عليه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنته السيدة حفصة ليتزوجها فسكت سيدنا عثمان رضي الله عنه؛ لأنه كان قد سمع سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكرها، فلما بلغ ذلك سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ ألا أدل عثمان على من هو خير له منها وأدلها على من هو خير لها من عثمان ﴾، فتزوج سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السيدة حفصة عليها السلام، وزَوَّجَ سيدنا عثمان للسيدة أم كلثوم عليها السلام، وكان نكاحه لها في ربيع الأول، وبنى عليها في جمادى الآخرة من السنة الثالثة للهجرة، وتوفيت عليها السلام عنده و لم تلد منه.

وفاتها عليها السلام:

توفيت السيدة أم كلثوم عليها السلام في شهر شعبان من العام التاسع للهجرة، وقد غسلتها السيدة أسماء بنت عميس والسيدة صفية بنت عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما، وقيل غسلها نسوة من الأنصار فيهن السيدة أم عطية رضي الله تعالى عنها، ثم صلى عليها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودفنت إلى جانب أختها الكريمة السيدة رقية عليها السلام بالبقيع، ونزل في حفرتها الإمام علي عليه السلام وسيدنا الفضل وأسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما، ثم جلس صلى الله عليه وآله وسلم إلى قبرها الشريف فدمعت عيناه الكريمتان، وأخذ يتلو قوله تعالى: ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

من أدب الإسلام

آداب زيارة المريض

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد ،،،

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾(آل عمران: من الآية 110)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ ﴾(رواه الحاكم في المستدرك)، وقال أحد الحكماء: "ذَكِّ قَلْبَك بِالأَدَبِ كَمَا تُذَكَّى النَّارُ بِالْحَطَبِ، وَاتَّخِذِ الأَدَبَ غُنْمًا وَالْحِرْصَ عَلَيْهِ حَظًّا، يَرْتَجِيك رَاغِبٌ، وَيَخَافُ صَوْلَتَك رَاهِبٌ، وَيُؤَمَّلُ نَفْعُكَ، وَيُرْجَى عَدْلُكْ".

أخي المسلم: اعلم أن من حقِّ المسلمِ على أخيه عيادته عند مرضه، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ ﴾(رواه البخاري ومسلم)، وفي ذلك تعهد وسُقيا لشجرة الأخوةِ، ناهيك عن الأجر الجزيل والثواب العظيم الذي لا يتركه حريص ولا يفرط به لبيب، فقد روى الإمام أحمد في مسنده أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ من عاد مريضاً لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس، فإذا جلس اغتمس فيها ﴾.

وكما حثنا ديننا الحنيف على زيارة المريض حرضنا على التخلق ببعض الآداب حرصاً على راحة المريض وتعجيل شفائه، ومن جملة هذه الآداب: أن لا يطيل الجلوسَ عنده؛ لأن له من الحالات المرضية الخاصة ما لا يسمحُ بإطالة الجلوس عنده، فعِيادةُ المريض كجلسة الخطيب – يَعْنُون جلسة الخطيب يوم الجمعة بين الخطبتين في قصرها وخفتها–، فلا تُطل على من تزور، حتى تكون الزيارة منعشةً له، رافعةً من معنوياته، مُعِينةً على تخفيف آلامه، زائدةً في صبره واحتسابه الأجر.

وينبغي لعائدِ المريض أيضاً أن يكون نقيَّ الثوب، طَيِّبَ الرائحة طِيبَ نظافة، لتنشرح نفس المريض وتنتعش صحته، ولا يحسُنُ أن يدخل عليه بملابس الزينة والأفراح، كما لا يحسُنُ أن يكون متطيباً بطيب شديد الرائحة، فقد يزعجُ ذلك المريض ويؤذيه؛ لضعف تحمله ووهنِ قُوته.

ويحسنُ لعائد المريض أيضاً أن لا يُخبر المريضَ أو يتحدث عنده بما يغُمُّه من خبر تجارةٍ خسرت، له فيها سببٌ أو صلة، أو ذكر ميتٍ، أو نحو ذلك مما يُكدِّرُ المريض أو يُحزنُه أو يؤثرُ على صحته أو شعوره.

ولا ينبغي للعائد أن يستخبر عن مرض المريض استخبارَ متقصٍّ، فإن ذلك التقصي من العائد لا ينفع المريض إلا أن يكون طبيباً له اختصاص بمرضه.

ولا يستحب أن يشير على المريض بدواءٍ أو بغذاءٍ قد كان نَفَعَهُ هو أو سَمعَ بأنه نافع، فإن ذلك ربما حمل المريض – بجهلِهِ أو لشدةِ ما به– أن يستعمله، فيُضرَّ به ويُفسدَ على الطبيب عمله، وربما كان ذلك سبباً لهلاك المريض.

ولا ينبغي أن يُعارض الطبيب بحضرة المريض، سواءً كان من أهل العلم والاختصاص أو لا، فيُوقِعَ للمريض الشكَّ فيما وصفَه الطبيب.

لذا احرص أخي المسلم على أن تتأدب بآداب الزيارة اقتداءً بسيد الأولين والآخرين، وطلباً لثواب المولى عزَّ وجلَّ ورضاه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

من وظائف العام

في فصل الربيع دعوة للنظر والاعتبار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ،،،

فإن لله عباداً للآيات متدبرين، وفي خلق السموات والأرض متفكرين متأملين، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(آل عمران 191)، عباداً سخروا أشرف ما فيهم لخدمة الدين، سخروا أفهامهم لمعرفة الله تعالى ومعرفة حقه، فحازوا بفعلهم شرف الوقت والأوان، وفاقوا بفهمهم أحبار كل دهرٍ وزمان، ولله درُّ الشاعر حيث يقول:

تفكـــر في نبـــات الأرض وانظـــر ... إلى آثـــار مـــا صـــنع المليـــك

عيـــونٌ مـــن لجـــينٍ نـــاظراتٌ ... بأحداقٍ هـــي الـــذهبُ الســـبيك

على قضـــب الزبرجـــد شـــاهدات ... بـــأن الله لـــيس لـــه شـــريك

إن في تعاقب فصول السنة علينا بحرِّها وبردها ما يثير فينا حس التفكر والنظر، ففصول السنة كلها تذكر بأحوال الآخرة، فشدة حر الصيف يذكر بِحَرِّ جهنم و هو من سمومها، وشدة برد الشتاء يذكر بزمهرير جهنم وهو من زمهريرها، ثم في الخريف يكمل اجتناء الثمرات التي تبقى وتُدَّخَرُ في البيوت تنبيها على اجتناء ثمرات الأعمال في الآخرة، وأما الربيع فهو أطيب فصول السنة، وهو يذكر بنعيم الجنة وطيب عيشها، باعثاً في المؤمن روح الاستعداد لطلب الجنة بالأعمال الصالحة، وقد كان بعض السلف يخرج في أيام الرياحين والفواكه إلى السوق فيقف وينظر ويعتبر ويسأل الله الجنة، فقد مرَّ سيدنا سعيد بن جبير رضي الله عنه يوماً بشباب من أبناء الملوك جلوس في مجالسهم في زينتهم فسلموا عليه، فلما ابتعد عنهم بكى واشتد بكاؤه وقال: ذكرني هؤلاء بشباب أهل الجنة.

فعجباً للمتقلب بين مشاهدة حكمه وتناول نعمه، ثم لا يشكر نعمه ولا يبصر حكمه، وأعجب من ذلك أن يعصي المنعم بنعمه، فهذا عود شجر الكرم يكون يابساً طول الشتاء ثم إذا جاء الربيع دب فيه الماء واخضر، ثم يخرج الحصرم فينتفع الناس به حامضاً، ويتناولون منه طبخاً واعتصاراً ثم ينقلب حلواً فينتفع الناس به حلواً رطباً ويابساً، ويستخرجون منه ما ينتفعون بحلاوته طول العام وما يأتدمون بحمضه وهو نعم الإدام، فهذه التنقلات توجب للعاقل الدهش والتعجب من صنع صانعه وقدرة خالقه، فينبغي له أن يفرغ عقله للتفكر في هذه النعم والشكر عليها، وأما الجاهل فيأخذ العنب فيجعله خمراً فيغطي به العقل الذي ينبغي أن يستعمل في الفكر والشكر حتى ينسى خالقه المنعم عليه بهذه النعم كلها، فلا يستطيع بعد الشرب أن يذكره أو يشكره بل ينسى من خلقه ورزقه فلا يعرفه في شكره بالكلية وهذه نهاية كفران النعم.

إن تدقيق النظر والفكر في حال النبات يدل المؤمن على عظمة خالقه وكمال قدرته ورحمته، فيزداد القلب هياماً في محبته.

وزمان الربيع كله واعظ يذكر بعظمة موجده وكمال قدرته ويشوق إلى طيب مجاورته في دار كرامته كما قال ابن سمعون في وصف الربيع: "أرضه حرير، وأنفاسه عبير، وأوقاته كلها وعظ وتذكير"، وقال غيره: "الأرض فيه زمردة، والأشجار حلل ووشي – أي أوشحة–، والهواء مسك، والنسيم عبير، والماء راح، والطير قيان، والكل دال على كمال الصانع شاهد له بالوحدانية".

ومن وجوه الاعتبار في النظر إلى الأرض التي أحياها الله بعد موتها في فصل الربيع بما ساق إليها من قطر السماء أنه يُرجى من كرمه سبحانه وتعالى أن يحييَ القلوب الميتة من أثر الذنوب وطول الغفلة، بسماع الذكر النازل من السماء، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ، اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(الحديد: 16-17)، ففيه إشارة إلى أن من قدر على إحياء الأرض بعد موتها بوابل القطر فهو جزماً قادر على إحياء القلوب الميتة القاسية بذكره وتسبيحه وشكره، فرب نفحة من نفحات رحمته تهب على قلب محروم فيسعد بها سعادة لا يشقى بعدها أبداً.

إذا مـــا تجـــدد فصـــل الربيـــع تجـــدد للقلـــب فضـــل الرجـــاء

عسى الحال يصـلح بعـد الـذنوب كمـــا الأرض تهتـــز بعـــد الشـــتاء

أعاد الله علينا وعليكم من بركات الربيع، وأفاض على أرواحنا وقلوبنا من نفحات رحمته وفضله وغفرانه، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

قبسات من المجلة الزيتونية

الوعظ والإرشاد

الدعوة إلى الإصلاح وأثرها في المجتمع

إن الله تعالى بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويبصرهم طريق الهدى وسبل السعادة العظمى ويكشف لهم عن نقاب المهلكات التي ما فتئ أهل الأهواء عاكفين عليها، ويزيل عنهم درن الوثنية الذي ما زال عالقاً بالبشر، فأهاب بالعقول من سباتها، ودعاها إلى التفكير في ملكوت السموات والأرض ونبهها إلى ما عليه الإنسان من التقصير في هذا المضمار وما كان يجدر به أن يلتمس الدر من الغدير ويتبع أناساً في مواطن الحجة يتراجعون بل كلمتهم نحن ﴿ وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾(الزخرف: من الآية23)، فهداهم إلى المحجة، وارتضى لهم الإسلام ديناً، وجعلهم أمة وسطاً يدعون إلى اليقين بأمرٍ من عنده، ويحذِّرون الضَّالَّ حتى يعود إليه رشده ويتبين له الغي فيحيد عنه ويثوب إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها، وما زال من أمة الإجابة بتوفيق الله الحكيم من يتخطى مواقع الخطأ فيزيل عنها الشبهة، ويحتسب فيدعو الناس إلى هدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويعرفهم بالمعروف ويرغبهم فيه بالموعظة الحسنة، ويخاطبهم بالحكمة البالغة التي تنشرح إليها الصدور، ويضرب الباطل بسهم نافذ فيزيل عن النفوس مخالبه المتمكنة منها، فيسلم الظاهر والباطن ويعالج أسقامها بآداب النبوة، حتى بلغوا بهم شأواً بعيداً فسلمت من أمراض كان خطرها على المجتمع عظيماً، وما صلاحه إلا مع استقامتها على الخلق الحسن، فتهذبت طباعهم التي كانت قد غلبت عليها الوحشية، ولعمري إن عظيم تراث يُقَدَّمُ لبني الإنسان ليستعمله في تأسيس المجد الذي شغف به، وأكبر إصلاح يحمد أثره، ويثمر نباتاً حسناً بإذن الله، وأخطر خطة يتولاها أولو العزم في هذا العالم ليصلوا بقافلة البشر إلى نهاية السعادة هو ترغيب الكافة بأمرهم بالمعروف حتى تتحمله النفوس ويتمكن منها، وتهذيبهم بنهيهم عن المنكر وصدهم عنه فيزيل تعلقه بهم، ولعظم هذا الأمر

وخطارته وما علق بالجبلة البشرية من الشر وما ينتسب إليه، نجد الله سبحانه وتعالى لطفاً منه بعباده وهو اللطيف الخبير رتب على بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بأبلغ معانيهما، فقام الإصلاح النبوي على هذا الأساس، ثم جعل ذلك وظيفة كل من يؤمن بالله واليوم الآخر، ووعدنا عليه بالثواب الجزيل، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(آل عمران 104)، كما توعد المقصر وحذره عاقبة تقصيره حيث قال وهو أصدق القائلين: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾(المائدة 78)، وليست وظيفة العمر الأمر والنهي خاصة بفريق من الأمة دون فريق، بل المسلمون في أحكام الملة سواء، ومن علم حكم الله في شيء وجب عليه أن ينشره بين العموم، ولا يعذر الجاهل بجهله وتقصيره بعدم السؤال، والله يقول: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾(الأنبياء 7)، فكما أنه يجب على من رأى فساداً في الأرض أو ظلماً أو عقيدة مقامة على ضلال أن يحذر الناس وينكر عليهم الدخول في هذا المضمار، أو رأى تقصيراً من آخرين أن يأمرهم بالمعروف إلى إصلاح حالهم ويرشدهم إلى ما هم في غفلة عنه، ويذكرهم فإن الذكرى تنفع المؤمنين، كذلك لزاماً على كل مسلم أن لا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وكذلك كان حال سلفنا الصالح، وبه تمت لهم المزية ونالوا مقاماً حمدوا عليه وسلموا من أخطار وقع فيها من أهمل هذا الركن العظيم.

ومن تأمل حال المسلمين في هذه الأزمان يرى منهم إعراضاً تاماً عن السؤال والبحث عن أحكام الله فيما يتعاطونه من الأعمال، فيباشر الواحد المعاملات على اختلاف أنواعها وتباين صورها ولا يبحث عن جوازه أو عدمه ولا عن الصورة التي تكون بها جائزة والتي لا تكون، بل ترى أشد من ذلك وهو عدم السؤال عن مسائل العبادات وعن شروطها وأركانها، فترى الواحد يصلي أعواماً ولا يعلم ما يصحح الصلاة وما يفسدها، وكذلك القول في الصيام وهكذا في سائر العبادات.

ونحن إذا بحثنا بحثاً مستفيضاً وراء هذا الخلق الذي منع العموم من السؤال، وأفضى بهم إلى الخسران والندامة ولات ساعة مندم، وإن كان السواد الأعظم لم تشعر حواسه بما خفي في نفسه مما نسميه ندامة، وغاية ما وصل إليها زفرات تتصاعد في سواد حالك يحيط به لا تتركها تصل إلى الحقيقة

كما هي فيبقى ينتقل من مفسدة إلى أشد منها مثابراً في سيرة على غير هدى، نعم إذا بحثنا في ذلك بحثاً مستفيضاً نجد السبب يرجع إلى أمور متعددة، **أولها:** الاعتزاز بالنفس والترفع عن السؤال، **ثانيها:** تأثير البيئة، **ثالثها:** مبدأ الإباحية، **رابعها:** ما تفشى عند بعض الأدعياء في العلم من الإنكار على التقليد مع وقوعهم فيما فروا منه، **خامسها:** عدم اطمئنان النفس لاستجواب مرشد أمين، **سادسها:** عدم إدراك الأخطار التي تنجر من إهمال السؤال، **سابعها:** ضَعف الوازع الديني، **ثامنها:** مفعول المال والجاه، **تاسعها:** الخوف من الإجابة بالمنع، **عاشرها:** الدعاة الضالُّون المضِلّون.

وفي العزم أن نتولى بحث هذه الأمور التي تقف سداً منيعاً بين الإنسان والنجاة، ونميط اللثام عن حقائق نحن في حاجة إلى الكشف عنها، وقياماً بالواجب المفروض علينا وتعميماً لفائدة الإرشاد حتى يبلغ هذا الصوت أسماع الكافة، وتعي معانيه أفئدة هي في حاجة إلى بلوغ صداه، فتحنا هذا الباب وهو "باب الوعظ والإرشاد" ليلجه كل متحسب في دينه مخلص في دعوته إلى الحق، وإني أرى فريقاً من الناس قَصَروا أنظارهم في هذا الأمر الخطير على معالجة بعض بدعٍ اعتادها الكافة أو قسم من الأمة، وحسبوها فرعاً من فروع الملة وأنها قربة ينال بها العبد من ربه جزاء، وأنكروا عليهم صنيعهم ذاك وقاوموهم بشتى المقاومات فحصل خلاف المقصود، وعاد الأمر على عكس المطلوب، وأحسب أن السبب الذي أوجب ذلك هو أسلوب المقاومة الذي اتخذه المصلحون في نشر دعوتهم المباركة بين قومهم الذين خيم عليهم الجهل وضرب برحابهم أطنابه، فصوَّر لهم الدعوة إلى الحق ضلالاً، والتنفير من البدع إلحاداً، قومٌ هذه أخلاقهم التي شبوا وشابوا عليها، الحكمة في إرجاعهم إلى تعاليم الإسلام وتحذيرهم مما هم عاكفون عليه ولا يمت إلى الشريعة بسبب، أن نتعهدهم بالموعظة الحسنة كما أمرنا بذلك فنكون مرغبين غير منفرين ولا نيأس من رحمة الله؛ فإن العادة إذا استحكمت في النفوس ليس من الهين تركها والإقلاع عنها، فكيف يرجع إلى المعتقدات والقرب.

وقد وصف الله تعالى رسله بأنهم أولو العزم بما يتحملونه من مشقة الصبر العظيم لبلوغ الغاية التي أقاموا لها الدعوة، وساروا في ذلك على مقتضى ما رسمه لهم العليم الحكيم، وهذا المربي الأكبر والمصلح الحكيم يخاطبه الله بقوله: ﴿ ادْعُ إِلَى سبيلِ رَبِّكَ بالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وجَادِلْهُمْ

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(النحل: 125)، فتلك هي الطريقة المثلى التي رسمها القرآن، ولكم في رسول الله أسوة حسنة، فهل يجدر بنا أن نحيد عنها ونبغي بعد ذلك النجاح.

فلابد حينئذ من أمرين: **أحدهما:** الدعوة إلى الإصلاح بالحكمة، والوصول إليها لا يكون إلا بالموعظة الحسنة، **وثانيها:** الصبر على ذلك حتى تقوم الفضيلة في النفوس مكان الرذيلة، أما إذا كان في نفوس المصلحين شيء من الحدة، فإن نفوس القوم أشد حدة من ذلك، ولربما أفضى بهم الأمر إذا خذلتهم الحجة أن يعمدوا إلى منطق هو في الواقع عقيم، وكثيراً ما نسمعهم يقولون إن ما تنكرونه الناس متعلقون بما هو أشد منه خطورة فهلا اعتنى المصلحون بذلك، كأن المرء إذا قام منكراً على أحد توفرت له الأسباب في الإنكار عليه ليس له ذلك ما دام في الوجود من يفعل فعله أو ما هو أقبح من صنيعه !، ولو علم الناس أن دعوة الإصلاح لا تختار من المنكرات فتشمل هذه وتتغافل عن تلك، وحذقوا أن المصلح يتربص بقومه الفرص، لهان عليهم الأمر على أن الإصلاح كثير التشعبات متعدد المسالك، وعلى كل فرد أن يقوم بما يتمكن منه، وليس من الرأي في شيء أن نكثر باللائمة على من هداه الله لإرشاد الناس، ونفسد عليه خطته التي رسمها لنفسه فنتعرض له بأنواع المقاومات، ونشن عليه الغارة، ونظهره في أعين الكافة بأقبح صورة يكون عليها الإنسان، ونستعير له من الصفات ما هو مضاد لما يدعو إليه لِنُنَفِّرَ منه المجتمعين حوله، بل الأمر على خلاف ذلك فإن المنكرات التي تمكنت من النفوس لا تدخل تحت حصر، والتقصير في القيام بالواجبات شمل العظيم والصعلوك، والجهل بالأحكام الشرعية هي الصفة الذاتية التي يتميز بها هذا الخلف عن أولئك السلف، وكيف يتم أمر الترغيب والترهيب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مصلح واحد أو اثنين حتى يصح لنا أن نقاومه إذا أفرغ وسعه للقيام بنوع من الإرشاد، إنما الواجب أن نُرَغِّبَ الناس في ذلك إلى أن يتوفر عدد المصلحين بتوفيق من الله تعالى، وتشمل الدعوة إلى الفلاح سائر الخطوب فتنقشع تلك الغيوم، وتظهر شمس الهداية ويبرز أثرها للعيان.

الشيخ العلامة

محمد الشاذلي بن القاضي رحمه الله

علماءُ من غزة

الإمام الشافعي رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو الإمام الكامل، العالم العامل، ذو الشرف المنيف، والخلق الرفيع، ذو الفصاحة والبلاغة، أحد الأئمة الأقطاب، عالم قريش، المنتشر علمه شرقاً وغرباً، المستفيض مذهبه براً وبحراً، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، الإمام المطلبي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي.

مولده ونشأته:

ولد رحمه الله تعالى بغزة هاشم سنة خمسين ومائة للهجرة، ونشأ في حجر أمه يتيماً في قلة عيشٍ وضيق حال، ثم حملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين، فنشأ بها وتعلم العربية وأتقنها، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، والموطأ وهو ابن عشر سنين.

رحلاته:

بدأ الإمام الشافعي رضي الله عنه طلبه للعلم على مفتي مكة مسلم بن خالد الزنجي وغيره من أئمة مكة المكرمة، ثم توجه إلى المدينة المنورة قاصداً عالم المدينة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ليتلقى عنه ويقرأ عليه الموطأ، فأكرمه الإمام مالك رضي الله عنه وأحسن إليه لنسبه وعلمه وفهمه وعقله وأدبه، واستفاد الإمام الشافعي رضي الله عنه من ملازمته الشيء الكثير، وبعد وفاة الإمام مالك سافر الإمام الشافعي إلى نجران والياً عليها، وبالرغم من عدالته فقد وشى البعض به إلى الخليفة هارون الرشيد، فتم استدعاؤه إلى دار الخلافة سنة مائة وأربعة وثمانين هجرية، وهناك دافع الإمام عن موقفه بحجة دامغة حتى ظهر للخليفة براءته مما نسب إليه وأُطلق سراحه، وفي أثناء وجوده في بغداد اتصل بسيدنا محمد بن الحسن الشيباني تلميذِ سيدِنا الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى، وقرأ كتبَه، وتعرف على علم أهل الرأي، ثم عاد بعدها إلى مكة وأقام فيها نحوا من تسع سنوات لينشر مذهبه من خلال حلقات العلم التي يزدحم فيها طلبة العلم في الحرم

المكي، ومن خلال لقائه بالعلماء أثناء مواسم الحج، وكان من أبرز من تتلمذ على يده في تلك الفترة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، ثمَّ بعد مدة من مكوثه في مكة عاد الإمام الشافعي رحمه الله تعالى مرة أخرى إلى بغداد سنة مائة وخمسة وتسعين هجرية، وكان له بها مجلسُ علم يحضره العلماء ويقصده الطلاب من كل مكان، مكث الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في بغداد سنتين، ألَّفَ خلالهما كتابه (الرسالة) ونشر فيها مذهبه القديم، وقد لازم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى خلال هذه الفترة أربعةٌ من كبار أصحابه، وهم: الإمام أحمدُ بنُ حنبل، وأبو ثور، والزعفراني، والكرابيسي. ثم عاد الإمام الشافعي إلى مكة ومكث بها فترة قصيرة، وبعدها غادر رحمه الله تعالى إلى بغداد سنة مائة وثمانية وتسعين هجرية ومكث فيها مدة من الزمن، ثم بعد رحلته إلى بغداد، غادر الإمام الشافعي رحمه الله تعالى بغداد إلى مصر، فقدم إليها سنة مائة وتسعة وتسعين هجرية، وكان في صحبته جمع من الأكابر منهم الإمام البويطي، والربيع بن سليمان المرادي، وعبد الله بن الزبير الحميدي، والإمام المزني وغيرهم، نزل رحمه الله تعالى بالفسطاط ضيفاً على عبد الله بن عبد الحكم وكان من أصحاب الإمام مالك، ثم بدأ بإلقاء دروسه في جامع عمرو بن العاص، فمال إليه الناس وجذبت فصاحته وعلمه كثيرا من أتباع الإمامين أبي حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى، وبقي في مصر خمسَ سنواتٍ، قضاها كلَّها في التأليف والتدريس والمناظرة والرد على الخصوم، وفي مصر وضع الإمام الشافعي مذهبه الجديد، وهو الأحكام والفتاوى التي استنبطها بمصر وخالف في بعضها فقهه الذي وضعه في العراق، وصنَّف في مصر كتبَه العظيمة التي رواها عنه تلاميذُه.

تصانيفه وآثاره:

للإمام الشافعي رضي الله عنه مصنفات كثيرة، نذكر منها:

- كتاب (الرسالة) الذي جمع فيه الإمام القواعد التي يجب على المجتهد الذي يريد الاستنباط الرجوع إليها، فكان أول كتاب صُنف في علم أصول الفقه.
- كتاب (الحجة) الذي وضع فيه الإمام قواعد مذهبه القديم في العراق.

- كتاب (الأم): جمعه الإمام البويطي رضي الله عنه بعد أن أملاه الإمام الشافعي رضي الله عنه على تلاميذه في مصر، ولم يذكر اسمه فيه ولا نسبه إلى نفسه، ومع ذلك فقد نسب إلى الربيع بن سليمان المرادي بعد أن رتبه وبوَّبه، ويعد هذا الكتاب آخر ما وصل إليه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، ويعبِّر عن المسائل التي فيها، بأنها مذهب الشافعي الجديد.
- كتاب (جماع العلم): أثبت فيه الإمام حجية الحديث على منكريه ممن يدعي الاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة المطهرة، كما رد على من ينكر التمسك بخبر الواحد في قضايا أصول الشريعة، كل ذلك بأسلوب علمي رصين، واستدلال أصولي رفيع، وملكة في استدعاء النصوص تبين أن الناس عيال على الإمام الشافعي رضي الله عنه في علم الأصول.

مناقبه:

كان الإمام الشافعي رضي الله عنه سخياً كريماً، عالماً بالفراسة مصيباً فيها، عارفاً بالطب والرماية، فارساً لا يُجارى، شاعراً أديباً.

أقواله:

قال رحمه الله: "طلب العلم أفضل من صلاة النافلة"، وقال: "العاقل من عَقَلَه عَقْلُه عن كل مذموم"، وقال: "من صدق في أخوة أخيه قَبِل علله وسدَّ خلله وغفر زللـــه"، وقال: "من أحب أن يقضي الله له بالخير فليحسن الظن بالناس".

وفاته:

توفي الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة ليوم بقي من رجب سنة أربع ومائتين للهجرة، ودفن بعد عصر يوم الجمعة، ومقامه مشهود يزار، ومن أروع ما رثي به قصيدة لمحمد بن دريد يقول في مطلعها:

ألم تـــر آثـــار ابـــن إدريـــس بعـــده   دلائلـــها في المشـــــكلات لوامـــع

رحم الله تعالى إمامنا الشافعي رحمة واسعة، وأحسن مثواه ومأواه، ونفعنا بعلمه وأدبه وحكمته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

بلادنا فلسطين

النكبة

النكبة: كلمة عربية تعني الكارثة أو المصيبة، وقد حدثت نكبة وفاجعة الفلسطينيين يوم الخامس عشر من أيار مايو عام 1948 رومي، تلك الفاجعة التي دعتها إسرائيل "عيد الاستقلال"، والتي جسَّدت أول موجة تهجير وإبعاد قسري للفلسطينيين من أرضهم، فبالنسبة للفلسطينيين تمثل النكبة مصادرة الأراضي وتهجير وطرد ثمانمائة ألف فلسطيني من منازلهم، أصبح عددهم مع وأولادهم وأحفادهم بعد ستين عاماً من النكبة أكثر من أربع ملايين لاجئ، لا يزال معظمهم يعيشون في مخيمات اللاجئين في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي البلدان العربية المجاورة.

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن فلسطين كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية أوائل القرن الماضي، حيث إنها كانت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية طوال أربعمائة عام، ولكن ضعف الدولة العثمانية لاسيما من الناحية الاقتصادية وتراكم الديون عليها للدول الأجنبية جعلها محلَّ أطماع الغرب لاسيما الدول الأوروبية، وقد رأى اليهود في ذلك فرصة لتنفيذ مشروعهم في إقامة وطن قومي لهم على أرض فلسطين، حيث بدأ مؤسس الحركة الصهيونية ثيودور هرتزل بإرسال رسائل إلى السلطان عبد الحميد رحمه الله الذي كان خليفة للدولة العثمانية، وهذه الرسائل مفادها الطلب بأن يسمح السلطان عبد الحميد رحمه الله لليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين مقابل سداد ديون الدولة العثمانية ودعم وضعها الاقتصادي الضعيف، وقد توجت هذه الجهود بمقابلة بين السلطان عبد الحميد رحمه الله وثيودور هرتزل في الباب العالي، لكن مواقف السلطان عبد الحميد رحمه الله كانت مواقف ثابتة ومشرفة جداً، حيث رفض قطعياً مطالب هرتزل وقال عبارته المشهورة: "لن تأخذوا فلسطين إلا على جثتنا، فهي ليست ملكي بل ملك شعبي"، ولكن هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وسيطرة بريطانيا وفرنسا على الوطن العربي كاملاً وما حدث بينهما في اتفاقية سايكس بيكو عام 1916 رومي والتي أدت إلى تقسيم الوطن العربي بين بريطانيا وفرنسا أدى إلى خضوع فلسطين لسطوة الانتداب البريطاني، وهو الذي بدوره زاد

معدلات الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وقد توجت هذه المساعدات البريطانية لليهود بإعطاء وعد بلفور من قبل وزير الخارجية البريطاني في الثاني من نوفمبر عام 1917 رومي، وقد كان هذا الوعد كتاباً خطياً من وزير خارجية بريطانيا بلفور إلى روتشيلد أحد أغنياء اليهود تتعهد فيه بريطانيا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وبعد هذا الوعد بدأ اليهود بتنظيم عمليات هجرة كبيرة من أوروبا وباقي دول العالم إلى فلسطين، وبدأوا بالسيطرة على الأراضي الزراعية للسكان المحليين بالقوة وبمساعدة الجيش والمندوب السامي البريطاني هلبرت صموئيل الذي عرف بميوله للصهيونية بشكل كبير.

وقد استخدمت الحركة الصهيونية التعاليم التوراتية وتعاليم التلمود بما فيها من دعوى الحق الديني والتاريخي في أرض فلسطين وأنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض من أجل دفع اليهود للقدوم إلى فلسطين، ولكن التاريخ يثبت أن هذه الأرض لم تخل يوماً من سكانها الأصليين منذ عهد الكنعانيين وشعوب البحر التي قدمت إلى فلسطين، في عشرينات القرن الماضي بدأ اليهود بإنشاء المغتصبات الصهيونية والجامعات اليهودية، وتشكلت في ذاك الوقت عصابات يهودية صهيونية مسلحة أطلق عيها اسم: الهاجانا، الأرجون، وإشتيرن، حيث قامت هذه العصابات بارتكاب أبشع المجازر بحق السكان الفلسطينيين الآمنين بهدف ترويعهم وإجبارهم على الرحيل من وطنهم، كما حصل في العديد من قرى فلسطيننا الحبيبة، وقد كان الشعار الذي تحمله عصابة الهاجانا الإجرامية "بالدم بالنار هدمت مملكة يهودا، وبالدم والنار ستقوم هذه المملكة"، هذا الشعار الذي يدل على مدى الإجرامية والدموية التي عملت بها تلك العصابات ضد المدنيين والنساء والأطفال، ولكن السكان الفلسطينيين لم يستسلموا لهم، بل قاموا بعدة ثورات ضد هذه العصابات المجرمة وضد الانتداب البريطاني الظالم، كان من أبرزها ثورة البراق عام 1929 رومي، والتي حدثت على خلفية الصراع على حائط البراق الذي ربط فيه سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دابة البراق فيه أثناء رحلة الإسراء والمعراج، وقد كانت المواجهات دموية في هذه الثورة حيث سقط مئات الشهداء والجرحى من الفلسطينيين، كما سقط عدد كبير من اليهود بين قتيل وجريح.

واستمرت عمليات بناء المغتصبات وغطرسة العصابات الإجرامية بحق الفلسطينيين أصحاب الأرض الأصليين، مما أدى إلى المزيد من الثورات الفلسطينية على الأعداء الغاصبين، كان من أبرزها ما حدث في سنوات الثلاثينيات من القرن الماضي، وهو ما يعرف بثورة عام 1936 رومي، حيث قامت ثورة شعبية عارمة وقوية ضد الإنجليز واليهود في فلسطين بقيادة شيخ المجاهدين الشيخ عز الدين القسام، وقد أُعلن الإضراب في المدن والقرى الفلسطينية لمدة ستة شهور متتالية، التزم الجميع فيها بهذا الإضراب الذي توقفت على إثره الحياة بكافة نواحيها، خاصة الاقتصادية منها، فقد أغلقت المحلات التجارية أبوابها وحدث شلل تام في حياة الناس، وقد حدثت عمليات مسلحة قوية ومؤثرة، وكادت الثورة تؤتي أكلها لكن الإنجليز واليهود استطاعوا إخماد هذه الثورة، وقسموا المجتمع الفلسطيني إلى فلاح ومدني وآل الحسيني وآل النشاشيبي، أي استطاعوا التفريق بين أبناء الشعب الواحد وإضعاف بنيته الاجتماعية باستخدام القبلية المذمومة، ومازال شعبنا يعاني هذه التفرقات إلى هذا اليوم.

وفي الأربعينيات استمرت العصابات الصهيونية في ارتكاب المجازر وعمليات التطهير العرقي ضد البلدات والقرى الفلسطينية، وكان من أبرز هذه المجازر مجزرة دير ياسين التي قامت بها عصابات الهاجانا ضد سكان القرية التي تقع قضاء القدس، والتي لم يبق لها أثر عربي في يومنا هذا، حيث دخلت هذه العصابات القرية وصلبت الرجال والنساء والأطفال على الجدران وقامت بتصفيتهم ومن ثم فجرت المنازل على ساكنيها، وقد قاد الشيخ المجاهد عبد القادر الحسيني زعيم منظمة الجهاد المقدس عمليات المقاومة ضد الإنجليز واليهود في هذه الفترة إلى أن استشهد بالقرب من القدس في معركة بطولية عام 1948 رومي.

عندما شعر اليهود بقرب خروج القوات البريطانية من فلسطين بعد إبلاغهم ذلك من قبل البريطانيين أنفسهم، بدأوا يعدون العدة للاعتماد على أنفسهم في محاربة العرب وإعلان قيام كيانهم المزعوم، وفي هذه الفترة بدأت بعض الجيوش العربية تستعد من أجل الدخول إلى فلسطين وخوض معركة فاصلة تهدف لطرد اليهود من فلسطين، حيث تم إعداد خمسة جيوش عربية لخوض المعركة مع اليهود، وبالفعل دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين وخاضت معارك قوية ضد العصابات

الصهيونية، ولكن نظراً لعدم وجود أسلحة متطورة مع العرب مقارنة بما تملكته العصابات اليهودية، ونظراً لحجم الإمدادات الكبيرة التي كانت تصل لليهود من مناطق أوروبا والعالم الغربي، لم تستطع الجيوش العربية إنهاء الوجود اليهودي في فلسطين على الرغم من أنها خاضت معارك باسلة وقامت بالتضحيات الجسام من أجل ذلك، ونخص بالذكر المعارك البطولية التي خاضها الجيش العراقي قرب مدينة جنين، وإن من أبرز ما ميز حرب عام 1948 أنها كانت معارك كرٍّ وفرٍّ استطاعت الجيوش العربية أن تحقق فيها بعض الإنجازات على الصعيد العسكري لولا حدوث هدنة مع اليهود مكنتهم من تقوية أنفسهم والعودة للحرب بشكل أقوى، بعد ذلك بدأ اليهود بالاستعداد لإعلان دولتهم وذلك بإنشاء جيش خاص لهذه الدولة حيث أمر بن غوريون – وهو أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني الغاصب – بحل العصابات الصهيونية ودمجها بما يسمى الآن (جيش الدفاع الإسرائيلي) ومن ثم السعي إلى تشكيل حكومة لهذا الكيان.

وقد شهد الرابع عشر من أيار عام 1948 رومي جلاء آخر جندي بريطاني عن أرض فلسطين، ثم في اليوم التالي وهو الخامس عشر من مايو لنفس العام كان إعلان بن غوريون قيام ما يسمى بدولة إسرائيل، ولكنه لم يذكر في هذا الإعلان الخبيث حدود هذه الدولة، وهذا يعني أن الأمور قد تكون باتجاه توسيع حدود هذه الدولة، وهو ما حصل في عام 1967 رومي.

ويمثل الخامس عشر من أيار من كل عام ما يعرف بمصطلح النكبة التي حلت بالشعب الفلسطيني، حيث سلبت أرضه بالقوة وشرد أبناؤه إلى الدول العربية وقامت على أرضه التاريخية دولة عنصرية أخذت بالتنامي كخلية سرطانية في جسم الوطن العربي اسمها إسرائيل، هذا فضلاً عن من استشهد وجرح واعتقل، وفضلاً عن استمرار معاناة الشعب الفلسطيني إلى يومنا هذا، وقد بقي العالم العربي كله من المحيط إلى الخليج والأمة الإسلامية كاملة عاجزة عن محو آثار تلك النكبة، ولكن الأمل بدأ يتجدد في نفوس أبناء هذه الأمة بعد المقاومة الفلسطينية الباسلة ضد الكيان الصهيوني في انتفاضتها الأولى عام 1987 رومي، والثانية في العام 2000 رومي، وكذلك صمود أبناء شعب فلسطين في الضفة وغزة والقدس ومناطق الخط الأخضر، ومواجهة الغطرسة والعنصرية والتهويد والتنكيل

والحصار الإسرائيلي الظالم، وقد أثبتوا جميعاً أنهم قادرون على قهر وردع هذا المشروع الصهيوني الذي يستهدف الأمة العربية والإسلامية.

هذه قضيتنا الفلسطينية أطلنا الحديث عنها أم اختصرنا نبقى عاجزين عن التعبير أمام الجراح التي تنزف والأطفال التي تبكي والشيوخ التي تقتل والبيوت التي تهدم كل يوم بل كل ساعة، وتبقى هذه الذكرى الأليمة على شعبنا الفلسطيني وصمة عار على جبين المحتلين والمغتصبين والمتخاذلين، نسأل المولى عزَّ وجلَّ أن يجمع كلمتنا، ويوحد صفنا، ويؤلف بين قلوبنا، ويُعلي رايتنا، ويجعلنا على الحق سائرين، وفق منهج الأئمة المرضيين ومن سار على نهجهم من العلماء والأولياء الصالحين، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.